العدد (1844) السنة السابعة - الأحد (11) تموز 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

يوميات المدى في باريس

عيد الموسيقى العالمي

رقصات على انغام الجاز

للموسيقى الكلاسيكية حضورها

اوركسترا بالمناسبة في قصر فرساي

> وأنا أقف في مطار شارل ديغول بعد أن حطت بنا الطائرة القادمة من مطار اتاتورك في اسطنبول لم يتوقف قلبي عن الالتفات صوب بغداد.. بغداد التي تركتها ملتحفة بالسواد متأرجحة بأراجيح الأزمات وضبابية المشهد السياسي.. بغداد التي لا يجمعها كقاسم مشترك مع باريس سوى حرف الباء.. قرأت أسمي على لافتة كارتونية عملها رجل أشيب وعرفت بأنه السائق المكلف من قبل وزارة الخارجية الفرنسية لإيصالنا الى فندق في وسط باريس، دخلنا مدينة النور مساءاً، هل حقاً أنا في مدينة نابليون، ديغول، سارتر، فولتير، الشانزليزيه، اللوفر، قصر فرساي، وتعددت الأسماء والحسن واحد، ومع ذلك لم يتوقف القلب من الالتفات صوب مدينتي أو مصيبتي لا فرق..!

يوسف المحمداوي
باريس

دخلنا الفندق وكان رقم غرفتي فيه (١٠١) وتذكرت فيها مسبحة والدتي، تركت حقيبة السفر واتصلت فور وصولي بصديقي الإعلامي المقيم في فرنسا سيف الخياط وقلت له أني في فندق (K+K) شارع فرساي، وبعد الاتصال بربع ساعة وصل سيف الفندق وعانقني على سلامة الوصول قائلاً: أنت محظوظ يا يوسف لقد وصلت في اليوم الموعود.. أي يوم؟ أنه يوم الموسيقى العالمي وأنت مدعو اليوم من قبل عائلة أبو سلام العراقية المقيمة منذ عقود في باريس.

سيف وعائلة أبو سلام

قلت له لكني لا أعرفهم، رد عليّ بابتسامة، لكنهم يعرفون (المدى) ويتابعونها عبر المواقع الالكترونية، وبالفعل التقينا مع تلك العائلة في شوارع الفرح وأنا أشاهد هذا الفرح الإنساني غير المألوف احتجت الى أكثر من ذهول، الى أكثر من دهشة، الى أكثر من عين أبكي بها على بلدي، لكن كما قال الشاعر: "من ذا يعيرك عينه تبكي بها.. أرأيت عيناً للبكاء تعار".

ومع ذلك قررت أن أغتنم كل يوم وكل ساعة من جمال باريس وأحيائها.. مدينة ساحرة حسناء فتنتها تفوق الخيال، فن، هندسة، ثقافة، وفي هذا اليوم وجدت فيها العلم بأسره وقد وحدته الفرقة الموسيقية.. نعم سأغتنم كل لحظة من أيامي فيها لأنقل الى شعبي حقيقة ما يعيشه العالم ونشعر بحقيقة المأساة التي نعيشها.

(١٢٦) بلداً يحتفلون بهذا اليوم

كيف ابتكر هذا اليوم ومن أين بدأ؟

يقول سيف الخياط أن يوم الواحد والعشرين من حزيران يحتفي به منذ (٢٨) عاماً بعد أن قام بابتكاره وزير الثقافة السابق جاك لانغ في عام ١٩٨٢، ولكن هذا اليوم تجاوز الحدود الفرنسية الى أكثر من (١٢٦) بلداً أجنبياً، ويستطرد الخياط قائلاً: أن احتفال باريس بهذا اليوم له نكهة خاصة لكونه ولد من رحمها، لذا تشاهد الموسيقي المحترف والهاوي يتسابقان في أحيائه حتى الصباح، شوارع باريس حدائقها ساحاتها أزقتها جاداتها امتلأت بمئات الفرق الموسيقية لتقدم إبداعاتها بآلاتهم الموسيقية للعوائل الفرنسية وغير الفرنسية القادمة الى باريس للاحتفاء بهذا اليوم.

وأوضح الخياط أنه على الرغم من نتائج المنتخب الفرنسي المخيبة للآمال في مونديال جنوب أفريقيا لكنه لم يمنع الفرنسيين من الفرح بذلك الكرنفال العالمي، فقد امتلأت الحانات وأماكن الحفلات الموسيقية والمهرجانات والكنائس، وعلى أمواج نهر السين كانت المراكب الكبيرة والصغيرة تتمايل مع راكبيها.. تذكرت والصديق سيف يحدثني بعض المسؤولين العراقيين حين نسألهم بحوارات ضيف الخميس عن الموسيقى فكانت ردودهم ليس من سلوكياتنا سماع الموسيقى!.. والعجيب أن أغلبهم جاءوا من دول تحتفي بهذا اليوم.

باريس وأزمة الكهرباء

عائلة أبو سلام التي التقيتها لأول مرة مع زميلة لهم من المغرب أسرفت بكرمها وترحابها، جلسنا على نهر السين لتناول وجبة العشاء وكان الحديث يدور حول الشأن العراقي وبالتحديد حول أزمة الكهرباء والتظاهرات التي انطلقت من البصرة وما تلاها في محافظات أخرى، وكانت خشيتهم أن تستغل تلك التظاهرات من بعض الجهات الخارجية أو الداخلية لتحويلها الى تنفيذ عمليات اعتداء ونهب مؤسسات الدولة كما حدث بعد التغيير.

سألتهم مازحاً: هل الكهرباء التي تتحمل كل هذه الطاقة سحب أم وطنية؟

فردوا ضاحكين.. لا مولدة.. وضحكنا بألم.. قاطعنا أبو سلام قائلاً: انظروا الى هذا الشاب المحاط بفتاتين، وبالفعل وجدت الشاب وهو محاط بفتاتين كفلقتي قمر تحملان حسناً لا يمكن أن يوصف والاثنتين تبكيان وهو يضحك.. أحداهن تتوسل به بالقبل والأخرى قامت بنزع حذائه وحزام بنطاله.

هروب من الجمال

خاطب أبو سلام الفتى مبتسماً وبالفرنسية، إذا كانت هناك عملية اغتصاب فنحن كرجال حاضرون للنجدة.. ضحك الفتى وابتسمت الفتاتان مجاملة لتعاودا البكاء، وأنا أشاهد ذلك الدمع تذكرت بيت الشعر الذي يقول:

وأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت ورداً وعضت على العنّاب بالبردِ

نعم كنت أشاهد لؤلؤاً يتساقط من عيون نرجسية لتسقي خدوداً بلون الورد لتعض على شفة كالعناب بأسنان الثلج.. صديقة عائلة أبو سلام المغربية قطعت جميع تكهناتنا وقالت لنا بعد استفسارها من إحدى الفتاتين أن واحدة منهن هي شقيقته والأخرى صديقته والاثنتان تخشيان عليه من تصرف وسلوك قد يضر به بعد أن أكثر من تناول الكحول، وبالفعل كانت خشيتهن في محلها، فقد استطاع الشاب وبغفلة من القمرين أن يهرب تاركاً حذاءه معهن ليرمي بنفسه في نهر السين سابحاً للجهة الأخرى وسط صياح الفتاتين وذهولنا وصغير المارة الذين ظنوا أن الشاب يحتفي بطريقته الخاصة بيوم الموسيقى العالمي.. نعم استطاع الإفلات من قبضتي الحرص والحسن اللذين مثلتهما الفتاتان اللتان لم أرهما غير غزالتين تعبران الجسر مهرولتين باتجاه الهدف، وفجأة تبادر الى ذهني بيت شعر دارمي آني التأليف يقول: (لو عندي هيج اثنين يبن الشفيه.. جاجلبت للموت باثنين اديه)، ولكنه أجاد الفرار كما أجداه من ضفاف نهر السين لنعيش بهجة ذلك اليوم وسر ديمومته منذ (٢٨) عاماً.

أربيل ضمن المدن المحتفلة

يقول أبو سلام أن أكثر من (٢٩) بلداً أوروبياً يحتفي بهذه المناسبة، وقد وصل العدد الآن الى أكثر من (١٢٦) دولة بعد انضمام مدن ملبورن في استراليا ومالغا في اسبانيا، وما يثلج الصدر بالفعل هو انضمام أربيل عاصمة كردستان الى تلك المدن.. ونتمنى وما أكثر أمانينا التي لم تتحقق ان نرى بغداد وهي تحتفي بهذا اليوم رسمياً.

وأضاف أبو سلام أنه وحسب الإحصائيات التي ذكرتها الصحف الفرنسية الصادرة اليوم أن هناك خمسة عشر ألف حفل موسيقي في فرنسا فقط بحيث أن كل جادة او زقاق فيها تحول الى خشبة مسرح، بل ان المستشفيات والسجون؟ والمتاحف والمعالم التاريخية تحولت الى صالات مسارح لفرق الموسيقى.. السابق جاك لانغ ووزير العدل روبرت باذتر اللذين وقعا أول معاهدة بين الوزارتين عام ١٩٨٦ تقضي بفتح أبواب السجون أمام رجال الثقافة والفنون والغرض من ذلك إخراجهم من العزلة التي يعيشونها، فضلاً عن تنمية قدراتهم الفكرية والفنية وإبعادهم عن الكآبة، كما ذكرت لي الدكتورة جوزفين بلاديه- والكلام لأبي سلام- ان لوزيري العدل والثقافة الفضل بإدخال الثقافة والفن الى السجون وهما لم يستندا الى فراغ في إجراءاتهم تلك وإنما الى نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٩ التي كفلت المادة (٢٧) منه حق كل شخص مهما كان وضعه الاجتماعي في المشاركة في الحياة الثقافية للمجتمع والتمتع بالفنون، وكذلك ضمن القانون الفرنسي ذلك حين شرع بحق كل نزيل في المؤسسات العقابية المساهمة في النشاطات الثقافية كحقهم في العلاج والتعليم.

العلاج بالفن

والعام الماضي تم تنظيم العشرات من الحفلات الموسيقية في مختلف السجون الفرنسية بمناسبة عيد الموسيقى بعضها لفنانين معروفين وهذه الاحتفالات وجميع روافد الإبداع ساهمت وتسهم في صيرورة بهجة الحياة داخل السجون، بل انها تعد من أنجح سبل العلاج للحالة النفسية للنزيل، حيث تسمى في علم النفس (العلاج بالفن) لكونها تؤثر تأثيراً مباشراً في سلوك وشخصية النزيل من خلال رفع الثقة بالنفس وبالتالي انخفاض معدلات الانتحار وتمكين النزيل من العودة والانخراط بالمجتمع بعقلية وشخصية أخرى تعيد توازنه وثقته بنفسه وبالمجتمع.

أين الثرى.. من الثريا؟

عدت الى بغداد على الرغم من استرسال أبي سلام بحديثه مستذكراً كم من وزير ثقافة بعد التغيير فكر بعقلية ذلك الوزير، أسعد الهاشمي المتهم بالقتل أم نوري الراوي ضابط الشرطة المتقاعد أم الجديد المشغول حالياً بأسابيع الثقافة خارج حدود البلد في العواصم العربية التي تصر على تعليق عضوية اتحادنا الأدبي تحت ذريعة الاحتلال وكأن فلسطين غير محتلة متجاهلين سفاراتهم في تل أبيب والقواعد الأمريكية تملأ عواصمهم.. نعم تذكرت هؤلاء الوزراء والوزير الفرنسي وقلت في قرارة نفسي أين الثرى.. من الثريا؟

عدت الى أبي سلام الذي كان يقول أنه في كل عام هناك عنوان وموضوع للاحتفالية وبشان الاحتفال هذا العام الموضوع هو موسيقى الأفلام، وهذا ما أكدته وزيرة الثقافة الفرنسية كريستين البانيل في كلمتها أن لموسيقى الأفلام أهمية خاصة لأن الكثير منها انطبع في داخلنا ربما أكثر من أية مؤلفات أخرى، حسب قولها.

وتشاركنا أم سلام الحديث بقولها: أن هذا اليوم خصص للاحتفال بموسيقى الأفلام، إذ انه في العام ١٩٠٨ استمتع الجمهور لأول مرة بموسيقى وضعت خصيصاً لفيلم سينمائي وكانت من تأليف كاسي سانت سانيس لفيلم (اغتيال دوق دوغيز).

ساركوزي يفتح أبواب الاليزية أمام الجمهور

وخلال هذا العيد العالمي سيتم تكريم العديد من المخرجين والممثلين الكبار، وأضافت أم سلام قائلة: انه لأول مرة يفتتح الرئيس نيكولا ساركوزي قصر الاليزية أمام الجمهور، حيث عروض للجرس الجمهوري وأيضاً لفرق جاز وكذلك فرق برازيلية، موضحة أن كارلا بروتي زوجة الرئيس ساركوزي ستقدم البومها الغنائي الثالث- كما لو أن شيئاً لم يكن- الذي سيعلن عنه في ٢١/تموز الجاري في فرنسا وخلال الصيف في دول أخرى.

وخارج القصر الرئاسي استوقفتني في جادات باريس وشوارعها فرق مختلفة الأشكال والأجناس، فرق مغربية، برازيلية، كوبية، وأخرى إيطالية، آسيوية، وأفريقية، وفرق للفلكلور من أوروبا الشرقية.. نعم شعوب مختلفة توحدوا على أنغام الكيتار، ورقصات فرق الروك والهيب هوب والفلامنكو والسامبا، ونحن شعب واحد ولم نتفق الا على ديمومة اختلافاتنا ومرجعياتنا التي ورثناها بالولادة لا بالإرادة.

رقصة البزخ

قطعت تأملات ألمي على قومي زميلتنا المغربية وهي تقول: لقد استضافت اوركسترا دار ستيالو الباريسية مساء أمس الموسيقار اليمني أحمد فتحي كضيف شرف احتفال العاصمة الفرنسية باريس بعيد الموسيقى، حيث عزف فتحي للجمهور معزوفتين من تأليفه، الأولى كانت بعنوان (الأرواح الخيرة الأم تريزا والأميرة ديانا)، فيما جاءت الثانية بعنوان (ساكورا) نسبة الى لوردة يابانية بهذا الاسم، وبالقرب من منطقة تواجدنا وبالتحديد في ساحة شاتليه كانت هناك رقصات رائعة على آلة الإيقاع لفرقة أفريقية ارتدت القمصان الملونة وأثارت الحماس حتى عندي وأنا الرجل الذي تجاوز الخمسين لأمارس رقصة (البزخ) الجنوبية الأصل مع صديقي سيف مردداً بصوت خجول (شلون بزخ العمارة.. هيج وهيج..)!

وتسترسل المغربية قائلة ان اللحظات المميزة اليوم كثيرة على سبيل المثال لا الحصر حفل موسيقي في قصر فينسين، حيث سيضم الحفل ايميلي لوازو وانايس وآخرين.

ومن جهة أخرى والكلام لشقيقتنا المغربية ستشهد باريس أمام هرم اللوفر حضور الفنان الفرنسي بيار بولي ليقود اوركسترا باريس في عمل لسترافينسكي، ويقود الألماني كورت ماسور اوركسترا فرنسا الوطنية في عمل للمؤلف الموسيقي فيليكس مبنيد لون داخل متحف اورسي.

وقامت محطة فرانس الفرنسية التلفزيونية بنقل حفل موسيقي مباشر من تنظيمها في غابة بولونيا في العاصمة باريس شارك فيه العديد من الفنانين من أمثال كريس ابزاك وفلورانباني وسيلمي وجوزان مراز.

للمثلية أحكام وأنغام

وفي ساحة فوج والحديث للصديق سيف تمركزت اوركسترا كورس الشعب التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي، أعضاء الفرقة لبسوا زيا أسود عليه نجوم باللون الأحمر وأدت الفرقة النشيد الوطني الفرنسي وأغاني ثورية فرنسية وعالمية كنشيد الأممية، مضيفاً وبضحكة عالية: أن هناك في حي الـ(ماريه) كانت فسحة للمثليين جنسياً وقد قامت فرقة نيوبلاتنيوم المؤلفة من خمسين رجلاً غنوا برفقة فتاة واحدة عزفت على البيانو، وفي زاوية من الماريه وقفت فرقة الاوبيوم المؤلفة من مئة وخمسين رجلاً وامرأة يطالبون بحق المثليين في الحياة بصورة طبيعية من دون اضطهاد وقيود.

لاحظت وأنا أتنقل بذهولي بين تلك الفرق بانتشار العديد من رجال الأمن للحفاظ على سلامة المحتفلين فطلبت من صديقي سيف أن يسأل لي أحد رجال الشرطة عن عدد الحرس المخصص للانتشار في هذا اليوم.. وهل من حوادث تذكر؟

وزير الثقافة كان هنا

أجابه أحد رجال الشرطة بأن الداخلية الفرنسية نشرت أكثر من (٢٦٠٠) رجل أمن في عموم باريس تفادياً لحوادث قد تحصل هنا أو هناك، وهناك حوادث قد حصلت بالفعل ولكنها ليست بالأمر الصعب وتم تفاديها.

وأضاف الشرطي الفرنسي قائلاً: أن وزير الثقافة الفرنسي جانغ لانغ وهو الذي ابتكر هذا العيد العالمي للموسيقى مر قبل قليل من هنا بمرافقة أحد رجال الأمن وكان ينظر الى هذا الاحتفال بنشوة وفرح.. وكيف لا والفضل يعود له في كل ما حدث ويحدث.

وهنا أقول كم من وزير عراقي طاف شوارع بغداد وأزقتها ليعيش حالة العائلة العراقية وأزمتها، بالطبع لا أحد لأن الفضل يعود له في كل ما حدث ويحدث، وقطع تساؤلي تلفون الزميل سيف حيث جاءته مكالمة من الفنان العراقي حسن بريسم مفاده أن حسن بريسم والفنان التشكيلي طه وهيب سيكونون غداً في باريس. وبعد ان تجاوزت الساعة منتصف الليل تركنا باريس لأهلها وأوصلوني الى الفندق لأحظى بغفوة عميقة لمدة ثلاث ساعات قبل ان أشرع بمتابعة حكاية أخرى من يوميات (المدى) في باريس.. وما أجملها وما أغناها، وكما يقول المثل الأميركي (زر باريس ومت).